

ابراهيم الامين

أوهام الطوائف الكبيرة والصغيرة

بلد الانهيارات الطائفية والمذهبية يقترب من لحظة الجنون القسوى. وليس معلوماً إن كان من المفيد إعادة عرض الفصل الأخير من آخر مسرحيات زياد الرحباني «بخصوص الكرامة والشعب العنيد»، حيث الناس ياكل بعضهم بعضاً. لكن يمكن ملاحظة الآتي:

أولاً: إن الاحتقان المذهبي لا سابق له في البلد، وإن التعبئة بلغت مرحلة غير منطقية. وكل التراجع القائم في الحالة الحزبية - وهو تراجع جدي، ويمكن ملامسته في كثير من المناطق - لا علاقة له بالعصبية السنوية الجاري العمل عليها بقوة، سواء من أنصار الحريري أنفسهم، أو من جهات أخرى ذات خلفيات سياسية أو أمنية أو دينية. والمشكلة في أن التعبئة لا تقتصر على الناس العاديين، وأنها لا تحصل فقط في حلقات الأرزقة ومجالس النواب والسياسيين، بل تتصل كثيراً بوسط نخبوي عند هذه الفئة يراقب المشهد العام من العراق إلى لبنان. وهناك مناخ من شأنه أخذ الأمور إلى أبعد مما نعتقد. وليس أمراً عفوياً ما تشجعه استخبارات عربية وقوى 14 آذار، ولا سيما «القوات اللبنانية»، على تحركات في المناطق السنوية في الشمال وبيروت والساحل، مترافقة مع حملة إعلامية تتضمن حملة قاسية على إيران خلال زيارة أحمددي نجاد لبيروت.

ثانياً: ما يسميه فريق 14 آذار «فائض القوة» لدى شيعة لبنان، لا يتصل عملياً بمشكلة هذه الطائفة، إذ إن الأمر لا يتصل بما تملك من قدرات غير متوافرة عند الآخرين، وخصوصاً لناحية التسلح، بل في أن الشيعة الذين ناضلوا لعودوا لتحقيق موطئ قدم داخل الدولة ومؤسساتها، ربما كانوا أساس من عمل على رسم خريطة لبنان الكبير الحقيقية، من خلال منح الأقضية دوراً يحقق توازناً مع دور جبل لبنان.

لكن مشكلة الشيعة ما بعد عام 1985، أن قادتهم عملوا على تحقيق حضور شكلي في إدارات الدولة، بطريقة تشير إلى نقص في فهم أهمية الدولة، لا كمؤسسات فقط، بل كمركز استقرار دائم. وهو الأمر الذي انتقل في مرحلة أخرى إلى العمل على تقليد المسيحيين، ومن ثم حالة الحريري السنوية، في بناء مؤسسات اكتفاء ذاتي في القطاعات التربوية والاجتماعية والسلوكية والاقتصاد الاستهلاكي. وبعد ربع قرن، تتصرف القيادة الشعبية على أنها لا تزال في موقع المعارضة، وهو أمر يرتب حسابات من نوع آخر. وإذا لم يحصل تغيير في هذا الاتجاه، فإن قدرة الآخرين على تحويلهم خصماً للدولة تبقى أقوى بكثير.

ثالثاً: تعيش القوى المسيحية في 14 آذار مرحلة حساسة هي الأولى التي تواجهها منذ فترة طويلة. لم يعد بمقدور هذه الشخصيات الحديث عن غياب التمثيل المسيحي في الدولة ومؤسساتها كلها، وهي لا تجيد في المقابل شرح نتائج الحضور في الدولة ومؤسساتها، وكذلك نتائج التحالفات التي قامت بها خلال السنوات الماضية، لجهة طمأنة المسيحيين أكثر إلى مستقبلهم في لبنان.

وإذا كان صعباً على هؤلاء العودة إلى صياغات السنوات السابقة لانقلاب عام 2005، فإن الأصبغ إعادة الاعتبار إلى موقع بكركي كمرجعية عامة، بعدما صار البطريرك الماروني نصر الله صفير طرفاً في النزاع، وهو يعاني أصلاً ضائقة شعبية لا تنفع معها العبارات الكبيرة، بل إن البحث

القائم على مستوى الفاتيكاني حول كل المؤسسات الكنسية يشير إلى إدراك الأزمة القائمة على مستوى الدور والوظيفة.

بناءً على ذلك، يبدو مسيحيو 14 آذار في موقع الساعي إلى تطور أو إلى حدث أو إلى وضع يجعل من المشكلة سبباً لإنعاش عصبية مسيحية بوجه «آخر»، وهذا الآخر يصوره مسيحيو 14 آذار على هيئة حزب الله والشيعة ضمناً. وأبرز عناصر القلق لدى هؤلاء يتصل بموقع الجيش اللبناني، حيث يعمل مسيحيو 14 آذار على توجيه ضربات سياسية ومعنوية إلى الجيش، الأمر الذي يدعو إلى التيقظ من وصولها في لحظة معينة إلى أكثر من ذلك، بهدف شله وتعطيل قدرته على منع أي «انقلاب يستهدف فرض أمر واقع في المناطق ذات الصفاء المسيحي».

رابعاً: يعتقد وليد جنبلاط أن انسحابه السياسي من دائرة التجاذب المباشر يساعده على جعل الطائفة الدرزية كلها خارج إطار أي معركة تنشب بين السنة والشيعة، وهو يعمل على تنسيق علاقته مع النائب طلال أرسلان بقصد الوصول إلى تفاهم سياسي يقوم على فكرة «تحييد الدرزي عن الصراع السني - الشيعي»، لكن مع الاحتفاظ بموقف نقدي لمسيحيي 14 آذار. بذلك، لا يجد جنبلاط نفسه مضطراً إلى قيادة تعبئة داخل الطائفة الدرزية لإزالة آثار المرحلة الماضية، وهو يكتفي بالقائم القائم لجهة التزام أنصاره ومعظم الطائفة بالتوجهات التي يعتمدها هذه الفترة، متجاهلاً الأسباب التي تكمن وراء نجاح التعبئة في المرحلة الماضية وتعثراتها في المرحلة الحالية، ومتجاهلاً أو متعامياً عن أنه - وإن حصل على «عفو» سياسي من جانب أبرز خصومه في لبنان وسوريا - لا تزال الشكوك تحوم حول موقعه، لا بل إنه ربما كان غير مهتم في أنه استعاد أزمة الثقة مع الشارع المسيحي بعد «دورته» الأخيرة، وهو يفكر بطريقة تعود إلى ثمانينيات القرن الماضي، لجهة أنه يقدر على إدارة الأمر وحده، وأنه متى نجح في نسج علاقة متوازنة مع الحريري ومع حزب الله، فإن بمقدوره الوصول إلى مربع الأمان. علماً بأن جنبلاط يعيش في الحقيقة وهم الحياض الإيجابي أو السلبي في الصراع الطائفي، وهو وهم مطابق لوهم الحياض الذي ينظر إليه البعض إزاء أي موقف للبنان من الصراع العربي - الإسرائيلي.

من عكّر مزاج صقر...
«بموضوعية»؟

ذكر عاملون في فريق إنتاج «بموضوعية»، الذي تبثه قناة الـ «MTV» أنه خلال إحدى فترات الاستراحة، تلقى النائب عقاب صقر اتصالاً هاتفياً من منزل رئيس الحكومة سعد الحريري. وبينما اعتقد صقر أنه سيتلقى التهينة، فوجئ بأن محدثه (قُدّر الحاضرون أنه الرئيس الحريري نفسه) يلومه على مشاركته في الحلقة، وعلى إطلاقه مجموعة من المواقف من دون الحصول على إذن أو تنسيق مع رئاسة الحكومة ومكتب الحريري نفسه. في هذا الوقت، كان النائب الأسبق ناصر قنديل يشعل سيجارة خارج الاستوديو، لكنه فوجئ لدى دخوله بأن صقر يتحدث مع شخص بدا أنه يلومه، وذلك من خلال تعليقات صقر وتعبير وجهه. عندها، لفت الزميل وليد عبود انتباه قنديل إلى أن المتصل هو الحريري على الأرجح، مشيراً إلى أنه سمع صقر يقول له إنه نسق إطلاقته الإعلامية مع مساعدين لرئيس الحكومة. «الأخبار» سألت صقر عن الموضوع، فنفي تلقيه أي اتصال من الحريري خلال الحلقة، أو علمه بوجود انتقادات لمواقفه من قيادات في تيار «المستقبل».

ارتباك وتوتر

شعارات مزدوجة تجمع بين تمسكه بقوة تحالفاته وثباتها مع قوى 14 آذار، وفي الوقت نفسه علاقته الودية المستجدة مع سوريا. ازدواجية تربك النواب المستقبل، الذين ينحون نحو التصعيد، وفي الوقت نفسه يجدون الحبال السعودية تشدهم نحو التهينة، علماً بأن الحريري نسي أو تناسى ذكر حلفائه الأذاريين لأكثر من شهرين، حين كانت علاقته بسوريا تشهد مزيداً من التقارب.

ويدور نقاش في أوساط «المستقبل» حول ضرورة مناقشة الحريري لعلاقته بسوريا مع حلفائه، وخصوصاً أن أبواب دمشق محكمة الإقفال أمامهم. ورغم تأكيد الحريري، خلال اجتماعه الأخير بكتلته، أن «علاقتنا مع سوريا ثابتة ولسنا نخجلين بها، وهي لن تعود إلى الوراء»، يبدو واضحاً أن نواب المستقبل لم يلتزموا بتحييد سوريا عن الصراع.

وكان لافتاً أمس إشارة بيان كتلة المستقبل برئاسة النائب فؤاد السنيورة، إلى ذكرى اغتيال «النائب الشهيد ناظم القادري»، الذي اغتيل في عام 1989، إذ رأى متابعون أن في الإشارة إلى الراحل القادري غمراً للوم سوريا، وخصوصاً أن ذكرى اغتيال القادري ترافقت مع ذكرى اغتيال النائب أنطوان غانم.



هذا الارتباك السعودي انعكس مباشرة على حلفاء المملكة في بيروت، فهؤلاء اتخذوا خيار المواجهة، فيما المملكة مكبلّة باتفاق التهينة مع سوريا. الرئيس الحريري عاد رافعاً

لغاية
50%
فايدة أخف*

*تطبيق شروط واحكام المصرف

القرض السكني

الآن فرصتك لشراء منزل رئيسي قائم أو قيد الإنشاء مع القرض السكني المبتكر والفريد من نوعه من BLC Bank - القرض السكني لايت. ستوفر لغاية 50% من الفائدة مع 0% عمولات ودفعات شهرية تناسب احتياجاتك.

04 72 72 22
www.blcban.com

BLCbank
FRANSABANK GROUP

We deliver what matters